إنجيل عشية الأحد الأول من الصوم الكبير

(مت ٦: ٣٤- ٧، ١- ١٢)

٣٤ فلا تهتموا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفي اليوم شره.

١ "لا تدينوا لكي لا تدانوا، ٢ لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون، وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم. ٣ ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها؟ ٤ أم كيف تقول لأخيك: دعني أخرج القذى من عينك، وها الخشبة في عينك؟ يا مرائي، أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيد أن تخرج القذى من عين أخيك! ٦ لا تعطوا القدس للكلاب، ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير، لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم.

٧ "اسألوا تعطوا. اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم. ٨ لأن كل من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يفتح له. ٩ أم أي إنسان منكم إذا سألته ابنه خبزا، يعطيه حجرا؟ ١٠ وإن سأله سمكة، يعطيه حية؟ ١١ فإن كنتم وأنت أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري أبوكم الذي في السماوات، يهب خيرات للذين يسألونه! ١٢ فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم، لأن هذا هو الناموس والأنبياء.

الصوم المقبول

عشية الأحد الأول من الصوم الكبير بعد أسبوع الاستعداد تصنع في الواقع برنامج الصوم وهدفه الأسمى، كاشتراك مع المسيح الذي صام عنا أربعين نهارا وأربعين ليلة.

وإن سألت ما هو المنهج والبرنامج الذي يجب أن أتبعه وما هو مطلوب مني لكي أقدم للرب صوما مقبولاً يختاره الرب ويرضى عنه لأن الصوم ليس هو صوم الطعام والانقطاع عنه، فلو كان كذلك لأصبح عملاً جسديا فحسب، وليس الصوم هو عادة ورثناها من الآباء وتقاليد نمارسها ومواسم نعيشها.

بل في الواقع إذا خلا الصوم من الهدف الذي جعل من أجله فإنه يفقد معناه تماما ويصير عبئًا على الجسد يود الإنسان لو لم يصم أو على الأكثر يشتهي أن ينتهي الصوم أو يتحايل الإنسان عليه بطرق التحايل الكثيرة.

لذلك فإن نما فينا الوعي الروحي واستوعبنا ما عاشته الكنيسة المقدسة وما وضعه الآباء بالروح لأجلنا لجنينا ثمار الصوم المقدس ولأزهرت أرواحنا في موسم ربيع الحياة الروحية.

وفصل الإنجيل هو جزء من الموعظة على الجبل الذي هو دستور المسيحيين يبدأ بعدم الهم والاضطراب من أجل الغد، وهذا هو الجانب السلبي أما الإيجابي فهو الاتكال على الله الذي هو رب الغد ومدبر الغد. لأن مستقبلنا هو في المسيح.

وشتان بين الهم والاهتمام والتدبير

فالهم هو الاضطراب والخوف والقلق واليأس وهذا يلغي كل النواحي الطيبة من الإيمان بالله والثقة والاتكال عليه وإلقاء الهم كله على الله. هو الذي خلقنا، وهو الذي عالنا ويعولنا وفي يده مقاليد الأمور، ومواعيد صادقة وأمينة وكلمته أثبت من السماء والأرض.

أما الاهتمام والتدبير فأمر ممدوح حين يدبر الإنسان أموره بدون قلق ملقيا كل همه على الله واثقًا أنه "إن لم يبن الرب البيت فباطلاً تعب البناؤون، فالإنسان المدبر، يستلهم روح حكمة في التدبير بالصلاة الكثيرة وطلب مشورة الله ويعمل أموره بلا ارتباك ولا اضطراب بل قلبه ثابت متكل على الله. هذه هي نقطة

بداية للإنسان الصائم الذي كف ولو إلى حين عن أن يستمد حياته من طعام الجسد بل هو يحاول أن يحيا حياة لا تتكل على طعام الجسد بل يستمد قوته من الروح الذي فيه. فهي ارتفاع عن مطالب الجسد ليس احتقارا للجسد، ولكن انحيازا للروح لاختبار ما هو روحي وما يخص مستقبلنا في المسيح يسوع حين نخلع جسد هذا الموت.

ثم تأتي بعد ذلك وصايا السلوك المسيحي التي تقود للكمال إن كان الإنسان في صومه يجاهد لحفظها.

عدم دينونة الآخرين– لا تدينوا

وليس الأمر سهلاً، ولكن كما قال الرب باب ضيق وطريق كربة أن يغض الإنسان نظره عن الآخرين ويكف عن دينونتهم. وهذا يتطلب قلبا نقيا لا يرى العيوب في الآخرين ويحتاج إلى حب صادق لأن الذي يحب لا يدين مطلقًا. فالنظر إلى القذى في عين الأخ ومحاولة إخراجه كمن يعمل خيرا بالقريب يحتاج نزع الخشبة التي في عيننا أولاً... وهذا هو الاهتمام الأول في الصوم، أعني التوبة والرجوع إلى الله وطلب المراحم من أجل خطايانا الكثيرة.

كل ألحان الصوم الكبير وقراءاته مركزة حول التوبة والندم والرجوع إلى الله من كل القلب.

أما من جهة علاج الدينونة فالمسيح في نهاية حديثه يقول: "كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم بهم هكذا لأن هذا هو الناموس والأنبياء". فإن أردت أن تتخلص من مرض الدينونة للآخرين ضع نفسك مكان من تدينه وسل نفسك كيف تريد أن ينظر إليك الناس وكيف يعاملونك لو كنت أنت مكان الخاطيء الذي تدين أعماله وتصرفاته!!

فإن كنت أنا أكرز ألا يسرق، وإن سقط أحد في هذه الرذيلة فإنني أحكم عليه، فماذا لو سقطت أنا في ذات الخطية وضبطت متلبسا بها؟ ألا أريد أن تعاملني الناس برحمة ويلتمسوا لي عذرا أو يسامحوني، ويقبلون ما أقول لتبرير نفسي، كل ذلك أريده إذا كنت أنا الخاطيء، فإن كنت أريد ذلك فلأفعله مع أخي بالتمام والكمال وإن صنعت ذلك فلن أدين أحدا، وأنجو من دينونة الديان الذي قال: "لا تدينوا لكي لا تدانوا".

الرياء

في منهج الصوم كما رسمه المسيح أن يكف الإنسان عن الرياء وطلب مجد الناس فحين يصوم يغسل وجهه ويدهن رأسه ولا يظهر للناس صائما، بل يخفي صومه عن الناس ولا يسلك بوجهين ولا يكون ذا لسانين، فالذي يدين أخاه وهو في نفس الوقت خاطيء يحتاج إلى إصلاح نفسه يدعوه الرب مرائيا "يا مرائي اخرج أولاً الخشبة من عينك". هذا هو سلوك الرياء. فالرب وضع في المنهج أن لا يسلك الإنسان مرائيا... بل يكون متضعا وصريحا مع نفسه في إصلاح سيرته.

اسألوا تعطوا

يكثر السؤال والصلاة في الصوم، والرب مستعد دائما أن يعطي بل هو مصدر العطاء والخير، ولا يمنع الإنسان من الأخذ إلا نفسه. ولا يحرم الإنسان من التمتع بعطايا المسيح إلا ذاته، لأن وعد المسيح أن "كل من يسأل يأخذ وكل من يطلب يجد وكل من يقرع يفتح له".

والقديس يعقوب الرسول يعلق على هذا القول بقوله: "لكن ليطلب بإيمان غير مرتاب البتة لأن الذي ليس عنده إيمان لا يظن أنه ينال شيئًا من قبل الرب". يطلب بحسب مشيئة الله ومسرته لأن الإنسان كثيرا ما يطلب رديا لكي يخدم حاجات الجسد وينفق في شهواته. ويطلب ملكوت الله قائلاً ليأت ملكوتك لأن طالب

ملكوت الله لابد أن يناله ويحيا به وفيه. ويثق أن الله يسمعنا حال طلبنا ويميل أذنه نحو سؤالنا وهو يعطينا أكثر مما نسأل أو نفهم.

أما وقت للاستجابة فليس لنا، لأنه يعرف ما نحتاج إليه قبل أن نسأل ويعرف ما هو نافع ومتى يصير لنا... لذلك تأخرت كثيرا استجابة الصلوات هذا في نظر الناس أما الله فيعرف كيف يكون الشيء حسن في أوانه الخاص مثل ولادة إسحق وولادة يوحنا المعمدان. أما ما يثبت صدق مواعيد الله في استجابة طلبتنا ويرسخ في ذهننا أن لابد أن يعطينا فهو ما أوضحه المسيح أن الله أبونا وهذه النعمة التي صارت لنا في شخص يسوع أن صرنا أولاد الله لأن كل الذين قبلوه أعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله.

ولكي يثبت المسيح هذا التعليم بل هذا الواقع الذي صرنا إليه بإيماننا بالمسيح توسط بأمثال كيف أن آباء الجسد يعطون أولادهم عطايا جيدة رغم كونهم خطاة فكم بالحري أبونا السماوي غير الخاطيء وكلي الصلاح يعطي الخيرات للذين يسألونه.

فنحن نسأل أبانا ومن هذا المنطق نعرف أنه يعطينا من فيض أبوته كل ما هو نافع لنا للحياة والتقوى لخلاص نفوسنا ولكن قمة عطايا الآب لنا هي أنه أعطانا روحه ساكنًا فينا وأنعم علينا بنعمة البنوة، انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله".